# السفسطائية من وجهة نظر منطقية

هادي فضل الله(*)

«فن الإقناع» أو «فن السيطرة في النقاش» تعبيران يؤدّيان معنى واحداً يفهم منه، بشكل أو بآخر، ما يفهم من لفظ «سفسطة» أو SOPHISMA، اللفظ المشتق من اللفظ اليوناني SOPHOS «سوفوس» والذي يعني الحاذق أو الحكيم.

يذهب الفارابي إلى أن الفلاسفة «جعلوا السفسطائية للمحنة والتحذير»(1)، كما يذكر أن لفظ «سفسطائية» يتركب من «سوفيا» ومعناها الحكم و «اسطس» ومعناها المموه، وعليه، فاللفظ، بحسب المعلم الثاني يعني الحكمة المموهة، وكل من يتصف بالقدرة على المغالطة والتمويه يسمّى «سفسطائي»(2).

كذلك يعتبر ابن سينا السفسطة نوعاً من التمويه والمغالطة ويؤكّد أنّ السفسطائي يتكلّم بما يناسب الخطابة ويقول: «لولا ضعف المجيب لما كان للسفسطائية صناعة»(3).

وإلى المعنى ذاته كان ذهب أرسطو إذ اعتبر السفسطة تمهيداً لصناعة الخطابة وألحقها بالجدل.

وفي المعجم الفلسفي، لفظ سفسطة «مأخوذ من اللفظ اليوناني «سفزما» ومعناه الأصلي التميز بالمهارة والحذق، ثم أخذ من بعد ذلك يدل على القول المموه والقياس الخداع»(4).

---

(*) أستاذ في الجامعة اللبنانية.

(1) انظر، الفارابي: **المنطقيات**، ج1، ط1، حققها وقدّم لها محمد تقي دانش ثروة، إشراف السيد محمود المرعشي، قم، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، 1208 هـ ق، ص 466.

(2) انظر، الفارابي: **إحصاء العلوم**، القاهرة، 1949م، ص 65.

(3) انظر، ابن سينا: **الشفاء، المنطق**، 7، **السفسطة**، المقالة الأولى، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، مصر، نشر الإدارة العامة للثقافة بوزارة التربية والتعليم، المطبعة الأميرية، 1958م، ص 37.

(4) انظر، مراد وهبه، يوسف كرم، يوسف شلالة: **المعجم الفلسفي**، ط2، القاهرة، دارالثقافة الجديدة، 1971م، ص 111.

إذاً، ومن خلال تعريف «السفسطة»، يبدو أن موضوعها وهدفها لا يعدوان مغالطة الخصم بغية خداعه وإسكاته وإيقاعه في الغلط.

ابن سينا، على سبيل المثال لا الحصر، تكلم عن صناعة الجدل والخطابة والمغالطة والشعر فقال:

الذايعات واللواتي تقبلُ — فإنما موضوعهن الجدلُ
والذائعات بادي السماع — فللخطابات وللإقناع
وذلك الوهمي والمشبهُ — مغالطي علمه مموهُ
وذلك الموقع للتخييلِ — يصلح في الشعر سوى الدليل[5].

كما تكلم الفارابي عن البرهان والجدل والسفسطة فقال: «مبادئ الحكمة المقدمات اليقينية... ومبادئ الجدل الآراء المشهورة... ومبادئ السفسطائية المقدمات المظنون أنها مشهورات من غير أن تكون كذلك في الحقيقة»[6].

وعموماً بات من المعروف والشائع بين الفلاسفة والمتكلمين، على حد سواء، أنَّ لفظ سفسطة لفظٌ يُعبَّر به عن الآراء الخاطئة والأقوال الباطلة[7].

وما تجدر الإشارة إليه هو أنه ليس كل كلام غير صحيح هو سفسطة؛ لأن هناك فرقاً كبيراً بين الغلط الناتج عن الجهل وبين الغلط المقصود أو ما نسميه بالمغالطة.

فالغلط هو جهل الإنسان بالعلم، في حين أن المغالطة هي إيقاع الآخر بالغلط عن قصد.

هذا عن لفظ السفسطة، أما لفظ «سفسطائي» SOPHISTE، فقد أطلق على معلم الحكمة وعلى الماهر في الصناعة الكيميائية، ثم أطلق على الماهر في الخطابة، كما أطلق في ما بعد على المخادع والدجّال، وبخاصة عندما ادّعى بعض السفسطائيين أنهم يبرهنون على صدق المتناقضين؛ إذ إن غاية السفسطائي الغلبة بالإقناع شأنه شأن الخطيب الذي يستعمل القضايا الذائعة أو المشهورة، وإن لم تكن يقينية.

ومن هنا، فقد تهاون السفسطائيون كثيراً في القيم والمبادئ السامية، كما حوّلوا الهدف من التعليم من جانبه النظري إلى جانبه العملي فركزوا على تعليم «فن النجاح في الحياة». واختصار القول، فإن لفظ «سوفيسطوس» يعني المعلم بشكل عام ومعلم البيان بشكل خاص[8].

ولعلَّ لفظتي الخداع والدجل، بنظرنا، من أفضل ما يتصف به السفسطائي، الذي يتعمد البرهان على صدق المتناقضين وفقاً لأهوائه ورغباته ومصالحه الخاصة.

---

(5) انظر، ابن سينا: **منطق المشرقيين، القصيدة المزدوجة**، ط2، قم، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، 1405 هـ.ق، ص 16.

(6) انظر، الفارابي: **المنطقيات**، ج1، مرجع مذكور، ص 310 ـ 311.

(7) ذهب إلى ذلك معظم المفكرين والباحثين.

(8) انظر، يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة اليونانية**، ط6، القاهرة، 1976م، ص 45.

كان السفسطائيون يعلِّمون البيان ويعتبرون بمثابة أساتذة تعليم عالٍ، علماً بأنهم خالفوا في منهجهم طرق التعليم السائدة، فكانوا يتجولون ويتنقلون من مكان إلى آخر يحاضرون ويخطبون في «فن النجاح في الحياة» مقابل أجور مرتفعة جداً يتقاضونها من طلابهم، يقول وِلْ ديورانْت: «كان بروتاغوراس، وغورغياس، كما يقول الرواة يطلبان عشرة آلاف درخمة (10,000 ريال اميركي) أجراً لتعليم تلميذ واحد»[9].

ويحدثنا بروتاغوراس نفسه عن مسألة الأجر الذي يتقاضاه مقابل أتعابه وتعليمه لتلاميذه، فيقول: «حينما يريد أحد أن يتتلمذ عليَّ، فإنه يدفع الثمن إذا أراد، ولا إجبار في ذلك، وإذا لم يرد فعليه أن يذهب إلى المعبد ويأخذ على نفسه عهداً بتقدير قيمة التعاليم، ولا يدفع أكثر مما يعلن أنه قيمتها»[10].

يتبيَّن من كلام بروتاغوراس أنه لا يتهاود في مسألة الأجر، حتى مع الطلاب العاجزين عن الدفع، إلاّ بعد تحكيم الآلهة وضمائر الطلاب أنفسهم.

وعموماً، فإن لفظ «سفسطائي» لم يكن لفظ تحقير وإهانة في المجتمع اليوناني إلى أن نشأ النزاع بين الدين والفلسفة وتهجم المحافظون على السفسطائيين.

لم يكن السفسطائيون يشكّلون مدرسة فلسفية، وإن كان بعضهم يعتبر من الفلاسفة الأذكياء والمؤثرين في المجتمع كبروتاغوراس وغورغياس وهيبياس[11].

لكن، متى ظهرت النزعة السفسطائية في اليونان، ومتى اختفت، وما هي تعاليمها، وما هي ردات الفعل عليها، وما كانت آثارها بشكل عام وبخاصة في الفكر الإسلامي، ومن هم رجالاتها؟ إلى غير ذلك من تساؤلات تشكل الإجابة عليها موضوع بحثنا.

## نشأة السفسطائية:

ظهرت النزعة السفسطائية في القرن الخامس قبل الميلاد، إثر انتهاء الحرب التي نشبت بين الفرس واليونانيين، وخرج اليونانيون إذ ذاك منتصرين وقتلوا ملك الفرس «دارا» سنة 486 ق.م.، لكنهم خرجوا منهكين متعبين مدركين أن الفرس لم يتمكنوا من غزوهم إلاّ بسبب حضارتهم المادية والمعنوية؛ فانبرى الشبان إلى العلم، وكان المعلمون

(9) وِلْ ديورانت: **قصة الحضارة، حياة اليونان**، ترجمة محمد بدران، ج7، ط3، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص 212؛ وطريقة تدريس السفسطائيين تلخص في أن دروسهم خاصة وليست عامة، والدرس يتم عن طريق النقاش والجدال بين الأستاذ وتلميذه إمَّا بخطب طويلة وردود طويلة وإمَّا بجمل قصيرة يتحاور فيها المتجادلان، والشهادة تمنح للتمليذ عندما يصبح الأخير قادراً على التغلب على معلمه في النقاش، والتدريس لا يتم في مكان ثابت ولا في مدرسة كما سبق وذكرنا، لأن السفسطائي يتجوَّل في المناطق والبلدان ليدرس تلاميذه.

(10) انظر، أفلاطون: **محاورة بروتاغوراس**، ترجمها للإنكليزية بنيامين جويت، ترجمة ودراسة محمد كمال الدين علي يوسف، راجعها الدكتور محمد صقر خفاجة، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1383هـ/1967م، ص 64.

(11) وسيأتي الكلام لاحقاً على زعماء السفسطائية.

قلائل، فحمل لواء العلم أناس أذكياء لا يبحثون عن الحقيقة ولا عن مظاهر الوجود، ولا يتخذون مواقف جريئة تجاه المشاكل القائمة. لقد كان همهم الأساسي «الاستفادة العملية العاجلة من أحوال الحياة العارضة، بالاتجار بالعلم خاصة، كما كانوا يحاولون أن يجعلوا من تلاميذهم مواطنين بارعين في ميادين الحياة العملية»(12).

ويدَّعي البعض أن السفسطة نشأت وظهرت ونمت وترعرعت في زمن الخصب الفلسفي وتقديس اليونانيين للفلسفة والفلاسفة واعتبارهم الفلاسفة أشخاصاً فوق البشر. حينذاك برزت السفسطائية كرد فعل على تقديس اليونانيين للفلسفة والفلاسفة، فحاول السفسطائيون أن يثبتوا للناس كذب الفلاسفة ودجلهم وجهلهم، وأن الفلسفة خالية من أية فائدة تذكر، وقد دعَّموا دعواهم بالبراهين، فأظهروا للناس أنهم ماهرون في إرباك محاوريهم وإيقاعهم بالغلط وذلك عن طريق المقولات الوهمية والمضللة والباطلة. ومن جملة مقولاتهم نذكر ما يلي:

1 ـ نظر سفسطائي إلى شخص في يده رسم حصان، فقال له أتريد أن أثبت لك أنَّ هذا صاهل؟ فأجابه، كيف ذلك؟ فقال السفسطائي؛ هذا حصان، وكل حصان صاهل، فهذا صاهل.

2 ـ أثبت أحد السفسطائيين أن للحائط أذنين فقال: في الحائط فأرة، وللفأرة أذنان، فللحائط أذنان.

3 ـ أثبت أحد السفسطائيين اجتماع المتناقضين في آن واحد، بواسطة حجة الكذَّاب؛ واختصارها أن أحد أبناء جزيرة كريت قال: إن كل أهل كريت كاذبون، فأجابه السفسطائي: إذا كنت صادقاً في قولك فأنت كاذب لأنك من كريت، وإذا كنت كاذباً في قولك فأنت صادق.

4 ـ أثبت زينون الأيلي بطلان الحركة فقال:

إن أخيل العدَّاء الأثيني الشهير إذا أراد أن يلحق بسلحفاة تسبقه بخطوات معدودات، فلن يستطيع؛ لأن عليه أن يقطع أولاً نصف المسافة بينهما؛

وإذا أراد أن يقطع نصف المسافة، فعليه أن يقطع نصف النصف؛

وإذا أراد أن يقطع نصف النصف، فعليه أن يقطع نصف نصف النصف وهكذا...

ولما كانت المسافة لا يمكن أن تتحدَّد؛ لأن قسمتها تستمر إلى ما لا نهاية، فإن أخيل لن يلحق بالسلحفاة؛ لأنه لن يغادر مكانه؛ وبالتالي فالحركة باطلة(13).

---

(12) انظر، عمر فروخ: **تاريخ الفكر العربي، إلى أيام ابن خلدون**، ط2، بيروت، دار العلم للملايين، 1979م، ص 86.

(13) إن براهين زينون الإيلي والتي يؤيد فيها تعاليم ومبادئ أستاذه بارمنيدس هي براهين أجاد السفسطائيون تقليدها مما ساعد على تشويش الافكار باسم الفلسفة في عصر سقراط وأفلاطون. لقد أثبتت تلك البراهين أنها جديرة بالاهتمام؛ لانها آثارت مسألة الوجود الفعلي اللامتناهي. فهل اللامتناهي موجود بالفعل؟ هذه المشكلة استطاع الرياضيون توضيحها لنا في خلال الألفين وخمسماية سنة التي تفصلنا عن زينون، إذ توصَّلوا إلى اكتشاف الاعداد اللامتناهية في الصغر وكذلك الأعداد اللامتناهية في الكبر. كذلك تصدَّى الفلاسفة لفكرة زينون عن اللامتناهي وأبطلوا تلك الفكرة عندما ميزوا بين ما هو موجود بالفعل وبين ما هو موجود بالقوة أو الإمكان؛ مما أدَّى إلى إبراز التناقض في حجة زينون إذ إن المسافة التي يجتازها اخيل لها اعتباران؛ الاعتبار =

إلى ذلك إن الأمثلة الشبيهة كثيرة جداً تتملئ بها كتب المنطق، كحجة السهم، وكومة القمح، ورؤية الكبير صغيراً والمستقيم منكسراً، إلى غيرها، والتي تركِّز دائماً على معرفة الأشياء والموجودات من أعراضها وليس من جواهرها. يقول ابن رشد في تمييزه بين علمنا للشيء بعلته الموجبة وعلمنا له بما يعرض له: «قد علمنا الشيء علماً حقيقياً في الغاية متى علمنا الشيء لا بأمر عارض له على نحو ما يعلمه السفسطائيون بل متى علمناه بالعلة الموجبة لوجوده، أو علمنا أنها علته»[14].

وعموماً، لنا عودة إلى آراء الفلاسفة الذين تصدُّوا لمقولات السفسطائيين وردُّوها ونقضوها وبيَّنوا مواطن الخطأ فيها، وبخاصة آراء سُقراط وأفلاطون وأرسطو.

واستمر السفسطائيون في نشاطهم في المجتمع بفاعلية وتأثير إلى أن أنشئت مراكز للتعليم العالي مثل مراكز أفلاطون وأرسطو وإيزوقراطس، فاختفت السفسطائية واختفى السفسطائيون، وكان ذلك حوالى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، مخلِّفين وراءهم إرثاً فكرياً لا يستهان به.

## تعاليم السفسطائية:

نحت الفلسفة اليونانية على أيدي السفسطائيين منحى مختلفاً عمَّا كانت عليه قبلهم، لقد حوَّل السفسطائيون أنظارهم إلى الإنسان ذاته، فبعد أن كان الفلاسفة ينظرون إلى الطبيعة والواقع الخارج عن الإنسان، أصبحت الفلسفة، على أيديهم، تنظر إلى الإنسان ذاته، الذي احتل صدارة اهتماماتهم بالفعل؛ فردُّوا إليه الأشياء كلها. فالإنسان وحده، في نظر السفسطائيين، هو الذي يعرف وينكر ويشك ويحكم. إنَّه المقياس الأساسي لكل شيء. وعليه، فقد دخلت الفلسفة السفسطائية في أزمة شديدة عندما اتخذت من الإنسان محوراً لمواضيعها ودراساتها؛ وسبب هذه الأزمة، بلا شك، يكمن في صعوبة إخضاع الإنسان كموضوع لتفسيرات وأحكام الإنسان نفسه كدارس. فالإنسان ليس كالجماد الذي ندرسه ونفسِّره ونحكم عليه من دون أن ننتظر منه أي ردِّ فعلٍ إيجابياً كان أم سلبياً. لكن الإنسان بذاته يقبل ويتأثر وينكر ويحكم، إنَّه حرٌّ، بكل ما في الكلمة من معنى، وعليه، فكلما اقتربت الفلسفة من الإنسان اصطدمت قطعاً بتلك الصعوبات من رفض وتشكيك وإنكار.

من هنا، من خلال تركيز السفسطائيين على الإنسان، في مختلف النواحي الأدبية

= الأول وجودها الفعلي؛ مما يؤدي إلى تحديدها وحصرها وانتهائها، وبذلك تتهاوى حجة زينون؛ لأن الموجود الفعلي متناه لا محال، لأن التناهي ملازم لكل موجود فعلي. الاعتبار الثاني هو القول بإمكانية تقسيم المسافة بالقوة إلى ما لا نهاية، إلاَّ أن أخيل يعْبُرُ ما هو بالفعل ولا يعْبُرُ ما هو بالقوة. من هنا كان الخلط بين الاعتبارين سبب التناقض في قول زينون. وهذا ما أكده فيلسوف الزمان الشعوري أو زمان الديمومة برغسون، إذ ردَّ على زينون بأنه اعتبر المسافة بمثابة الحركة فخلط بينهما؛ فالمسافة تقبل ما لا ينتهي من التقسيم والحركة ليست هي المسافة اللا متناهية «وإنما هي الحركة التي تعْبُرُ وتتقدَّمُ بخطوات أو طفرات» انظر، محمد ثابت الفندي: **مع الفيلسوف**، بيروت، دار النهضة العربية، 1980م، ص 99.

(14) ابن رشد: **البرهان**، تحقيق محمود قاسم، الهيئة المصرية العامة للمكتبات، القاهرة، 1982م، ص 38.

والفلسفية والاجتماعية، برزت مواضيع الأخلاق والمعرفة والسعادة؛ فطرح السفسطائيون أسئلة منها ماهية السعادة ومصدرها، وقدرة الإنسان على المعرفة، وإمكانية المعرفة. ونظراً لاهتمامهم، أي السفسطائيين، بالفائدة المرجوة في الحياة، فقد أهملوا العلوم النظرية، وبخاصة الرياضيات، لأنها لا تمت بشيء إلى الحياة العملية؛ وصوَّبوا أنظارهم اتجاه العلوم العملية فاهتموا بتعليم النحو والبلاغة والخطابة والتاريخ ونشأة المجتمع البشري وطبيعة الإنسان والتربية؛ لأنها فنون يمكن فيها النقاش وتُقبلُ فيها الآراء الشخصية، وتؤدي بصاحبها إلى منافع آنية عاجلة.

ولعلَّ أهم آراء السفسطائيين، والتي كانت جديدة في الفكر اليوناني القديم، والتي استندت على دراسة الإنسان ومشاكله والابتعاد عن مواضيع الطبيعة، هي التركيز على الشك كوسيلة للمعرفة، فضلاً عن اهتمامهم بالمجتمع واتجاهاته، إلى جانب تأسيس علوم النحو والبلاغة والجدل والنقد وقياس الشعر وكيفية التفكير. ولا شكّ، في رأينا، أن تطرُّقَ السفسطائيين إلى مثل هذه الموضوعات أهَّلهم لريادة النزعة الإنسانية[15].

نعم، لقد أصبح الإنسان الموضوع الأساسي والشغل الشاغل للسفسطائيين، إذ قلب هؤلاء أسس التفكير الفلسفي وحوَّلوه من التفكير في الطبيعة إلى التفكير في الإنسان. وبنتيجة ذلك، فقد سادت الحياة الديمقراطية بلاد اليونان، وعرف اليونانيُّون، في ظلّ انتشار الفكر السفسطائي، لا بل بسببه، الجمعية التشريعية، والمجلس التشريعي المنتخب، والمحكمة المنتخبة، محكمة الشعب، ولم يعد المواطن الصالح هو ذلك الارستقراطي، صاحب الحسب والنسب والجاه والمال؛ وإنما أصبح، مواطناً صالحاً، كلُّ مواطن يعتمد على عقله وتفكيره وانسجامه مع روح الديمقراطية والحرية[16]. فأصبح الفرد اليوناني فخوراً بذاته، بحريته، بديمقراطيته. من هنا طغت النزعة الفردية على النزعة الموضوعية؛ وبرزت أفكار السفسطائيين ومعطياتهم الجديدة تحتل مكانة مرموقة في الفكر اليوناني القديم.

أما المنهجية التي عالج السفسطائيون بها تلك الموضوعات، فكانت منهجية جدلية؛ وكان الجدل، عند أكثرهم، يعتمد على التلاعب بالألفاظ ومدلولاتها؛ إذ لم يكن من أهدافهم اكتشاف الحقيقة أو الاهتمام بالبحث عنها بقدر ما كان رأس اهتماماتهم النجاح في الحياة، والسيطرة في النقاش، والمنفعة الذاتية. من هنا اتخذوا من الخطابة وسيلة للإقناع والتأثير في الناس؛ نظراً لأن الخطابة تعتمد على الكلمات الرنَّانة المزخرفة أكثر من اعتمادها على المنطق والفكر.

وعموماً، يمكننا أن نعتبر السفسطائية مرحلة فكرية خصبة في تاريخ الفكر اليوناني، أخصبته وحرَّكت فيه اتجاهات جديدة، ولا يزال المجتمع المعاصر، حتى يومنا، يتأثر بهذا الفكر ويتتبع خطاه، كما سنرى.

---

(15) فبالسفسطائيين، وتحديداً بروتاغوراس، بدأت النزعة الذاتية في الفلسفة، وليس بسقراط.

(16) الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها عن الإنكليزية، فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق، راجعها وأشرف عليها وأضاف شخصيات إسلامية، الدكتور زكي نجيب محمود، بيروت، دار القلم، ص 267.

وبرأينا، فإن مغالاة السفسطائيين في التركيز على النزعة الفردية حوّلت الديمقراطية إلى نوع من الفوضى واللامبالاة وأدّت إلى القضاء على آرائهم وأفكارهم وكراهية المجتمع لهم.

## السفسطائية من وجهة نظر الإسلاميين:

قسّم المفكرون الإسلاميون السفسطائية، وفقاً لمبادئها، ثلاثة أقسام هي: العندية والعنادية واللاأدرية.

**العندية**: وهي مذهب بروتاغوراس وأتباعه، ويعتمد أصحاب مذهب العندية، كما يدل اللفظ، على أخذ الحقيقة من عندياتهم، من أنفسهم وذواتهم، من داخليتهم، وليس من الخارج؛ ويرى أصحاب العندية أنه لا شيء ثابت بذاته، وأن كل الأشياء الموجودة، إنما تخضع لما يسمى الاعتقاد. فمن اعتقد، على سبيل المثال لا الحصر، أن العسل مرٌّ فهو مرٌّ، لأنه يعتقد هكذا، حتى أنه قد يكون أحياناً مرّاً وأحياناً حلواً عند الفرد الواحد، إذ يمكن أن يكون حلواً في الصباح ومراً في المساء. والأحاسيس متساوية في الصدق، فليس إحساسٌ صادقاً وآخر فاسداً. فالإنسان الفرد هو معيار الحقيقة والمعرفة، فما يراه صحيحاً فهو كذلك وما يراه خطأً فهو كذلك.

علّم بروتاغوراس البيان وتحدّث عن الكلمة وأجزائها، والألفاظ ومعانيها، والأفعال ومشتقاتها، واعتبر الفعل أصل اللغة وأجزاء الكلام. وكان له آراء في الفلسفة والمعرفة والآلهة، التي قال فيها: «لا أستطيع أن أعلم إن كان الآلهة موجودين أو غير موجودين، وعلى أية صورة هم، إن أموراً كثيرة تعوق هذا العلم، فمن غموض الموضوع إلى قصر الحياة الإنسانية»[17]. ولعلّ هذا القول هو الذي دفع الأثينيين إلى نفيه وإحراق كتبه أمام الملأ[18].

ويحسن بنا، ونحن نتكلم على بروتاغوراس، أن نمثّل لمنطق الرجل ومنهجيته في تعليم تلاميذه، بقصته مع تلميذه أواثلوس:

اتفق بروتاغوراس مع تلميذه أواثلوس على أن يعلّمه فنَّ الجدل؛ ليؤهّله للعمل بمهنة المحاماة والمرافعة أمام المحاكم، وعلى أن يدفع التلميذ لأستاذه نصف أتعابه مقدّماً والنصف الباقي بعد أن يكسب أواثلوس أول مرافعة له. لكن أواثلوس تأخّر عن قبول أية قضية، إذ إنه كان يرفض كل القضايا التي تقدم إليه، وعبثاً ألحَّ عليه بروتاغوراس بعدم المماطلة بقبول المرافعة؛ ولما يئس بروتاغوراس من إقناع أواثلوس بقبول القضايا والمرافعة في المحكمة قرّر أن يقاضيه أمام المحكمة، ليحصّل منه المبلغ المتبقي له في ذمته، ووقف بروتاغوراس وأواثلوس أمام المحكمة وقدّم بروتاغوراس دفاعه، وهو قياس الإحراج الآتي:

إذا ربح أواثلوس القضية، فعليه أن يدفع باقي المبلغ المتفق عليه بحكم الشرط (لأنه

(17) **الموسوعة الفلسفية المختصرة**، مرجع مذكور، ص 120.

(18) فرَّ بروتاغوراس إلى جزيرة صقلية، لكنه غرق في الطريق.

يكون قد ربح أول قضة رافع فيها).

وإذا خسر أواثلوس القضية، فعليه أن يدفع باقي المبلغ المتفق عليه بحكم المحكمة. ولكن، إما أن يربح أواثلوس القضية وإما أن يخسرها.

● فأواثلوس عليه أن يدفع باقي المبلغ إما بحكم الشرط وإما بحكم المحكمة. وقد نقض أواثلوس دعوى أستاذه وردَّ حجته بقياس مماثل فقال: إذا ربحت القضية، فسوف لن أدفع المبلغ المتبقي وذلك بحكم المحكمة. وإذا خسرت القضية فسوف لن أدفع المبلغ المتبقي وذلك بحكم الشرط. ولكن، إما أن أربح القضية وإما أن أخسرها.

● فأنا، إما لن أدفع باقي المبلغ بحكم المحكمة وإما لن أدفعه بحكم الشرط[19]. ويحكى أن هذه القضية قد أربكت القاضي، فأجَّل النظر والحكم فيها إلى مائة عام. واختصار مذهب بروتاغوراس «الإنسان مقياس كل شيء»[20].

**العنادية:** وهي مذهب غورغياس وأتباعه[21]. ويعتمد أصحاب هذا المذهب، كما يدل اللفظ، على معاندة الفطرة والحسّ. ذهب العناديون إلى إنكار الوجود، إذ لا شيء موجود أبداً، وما يظن الإنسان بأنه موجود فليس إلاّ وهماً وخيالاً. وادَّعى أصحاب هذا المذهب أن العالم إذا كان موجوداً بالفعل فإما أن يكون أزلياً قديماً وإما أن يكون مخلوقاً حادثاً؛ والقدم غير ممكن بالأدلة ذاتها التي يستدل بها المدافعون عن حدوث العالم؛ كما أن الحدوث غير ممكن بالأدلة ذاتها التي يقدِّمها القائلون بالقدم. فالعنادية، كما يقول علي سامي النشار: «هم الذين يقولون: مذهب كل قوم حقٌّ بالقياس إليهم أو باطل بالقياس إلى خصومهم»[22].

وقد جمع غورغياس بين الفلسفة والسياسة، فقال: «إن مهنتي هي تعليم الفصاحة، وأن أجعل ممن أعلمهم رجالاً فصحاء، يفهمون ما يدور حولهم من نقاش وجدال، ويعرفون كيف يردُّون على الغير وينتقدون أوضاعهم سواء في المحاكم أو الجمعية السياسية بحيث يستطيعون إقناعهم»[23].

**اللاأدرية:** وهي مذهب بيرون وأتباعه. وهؤلاء هم الشكاك. وشكهم شكّ مذهبي وليس شكّاً منهجياً؛ إذ يبدأ اللاأدريون شاكين وينتهون شاكين؛ فهم يشكون لأجل الشك، ليس إلاّ. إنَّهم لا يثبتون شيئاً ولا ينفون شيئاً، حتى أنهم يشكّون في أنهم يشكُّون، أي يشكّون في الشكّ عينه. ليس للشكّ عندهم حدود. من هنا كان العلم مستحيلاً في نظر اللاأدريين، إذ إن كل ما يعرفونه هو لاأدري، لأنه يستحيل، في نظرهم، أن يتعلم الإنسان شيئاً من الآخرين؛

---

(19) انظر، هادي فضل الله: **مقدمات في علم المنطق**، ط1، بيروت، دار الهادي، 1996م، ص 355 ـ 356.

(20) انظر، أحمد أمين، زكي نجيب محمود: **قصة الفلسفة اليونانية**، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1935م، ص 100.

(21) مات غورغياس عن عمر طويل امتد حتى المائة وثمان سنوات، بعد أن بدَّد ثروته الطائلة.

(22) انظر، علي سامي النشار: **نشأة الفكرالفلسفي في الإسلام**، ج1، ط7، القاهرة، دار المعارف، 1977م، ص 163.

(23) انظر، أفلاطون: **محاورة غورغياس**، ترجمها للإنكليزية بنيامين جويت، ترجمة ودراسة محمد كمال الدين علي يوسف، راجعها الدكتور محمد صقر خفاجة، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، الفقرات: 448 ـ 454.

لأن العلم على حد دعواهم، إما أن يبقى بعد التعلُّم عند المعلِّم، فيعني أنّ العلم لم ينتقل إلى المتعلِّم؛ بل ظلَّ عند المعلِّم، وإما أن ينتقل إلى المتعلِّم، فيصبح المعلِّم جاهلاً فارغاً من العلم، الذي نقله إلى غيره، وأما إذا كان العلم عند المعلِّم والمتعلِّم في آن معاً، فهذا يعني أن الشيء الواحد يوجد في مكانين وهذا مستحيل. يقول علي سامي النشار: «اللاأدرية: وهم الذين يقولون: نحن شاكّون، وشاكّون في أنّا شاكّون»[24].

وبرأينا، عرف الإسلاميون مبادئ السفسطائية وأفكار السفسطائيين من خلال انتقادات سُقراط وأفلاطون وأرسطو للسفسطائيين؛ ولا يخفى أن هؤلاء الفلاسفة، وإن كانوا قد أيَّدوا السفسطائيين والتقوا معهم في مسائل كثيرة؛ لكنهم هاجموهم وشوهوا مبادئهم وتباينوا معهم في مواضيع أكثر. ومن هنا، على ما نعتقد، وصلت مفاهيم السفسطائية إلى المسلمين مشوهة، عبر سقراط وأفلاطون وأرسطو[25]، الذين كانوا مصدراً وحيداً للمسلمين عن تعاليم السفسطائية ومبادئها، لا بل عن الفلسفة اليونانية، بشكل عام. من هنا، جاء حكم الفلاسفة الإسلاميين على السفسطائيين حكماً قاسياً فسمُّوهم بـ «مبطلي الحقائق»[26]، كما عرفوا أن الوهم مقياس معارفهم، فردُّوا عليهم ونقضوا مقولاتهم.

ولكن ردود المسلمين، كما ذكرنا، مبنيَّة كلها على انتقادات الفلاسفة اليونانيين أنفسهم للسفسطائية؛ فما هي السفسطائية من وجهة نظر الفلاسفة اليونانيين أنفسهم، وبالتالي ما هو أثر النزعة السفسطائية في كلٍّ من الفلسفة الحديثة والمعاصرة؟

## السفسطائية من وجهة نظر الفلاسفة اليونانيين:

نظر السفسطائيون إلى الموجودات فاعتبروها موجودات حسِّية، وفي حركة وتغيُّر مستمرين؛ فتوهموا باستحالة إمكان التعبير عن أية حقيقة حيالها، كما توهموا أن الحقيقة قد تتعدّد بتعدد الأفراد «بل تتغيَّر بتغير الحالات التي تطرأ على الفرد الواحد والإحساس الواحد في الآونات المختلفة»[27]. وقد استنتجوا من نظرية هيراقليطس في التغيُّر الدائم والمستمر للأشياء، أن العلم بحد ذاته ليس ممكناً، لأنه لو كان ممكناً لكان يجب أن يستند على حقائق ثابتة، ولا وجود لتلك الحقائق الثابتة، لأنه لا وجود للثبات أصلاً[28]؛ كما ادّعوا أن المتناقضين يمكن أن يجتمعا معاً وكذلك المتضادين. فالإنسان يمكن أن يكون عادلاً وظالماً في آن واحد؛ والماء الواحد يمكن أن يكون بارداً وحاراً في وقت واحد. وهذا ما أدَّى

---

(24) انظر، علي سامي النشار: **تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام**، ج1، ص 163.

(25) وقد كان هؤلاء الفلاسفة، بنظر المجتمع اليوناني، سفسطائيين. ورد في الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص 267، أن «أفلاطون وأرسطو وإيزوقراطس كانوا سفسطائيين في أعين العامة»..

(26) انظر، علي سامي النشار: **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ج1، ص 162.

(27) يحيى هويدي: **مقدمة في الفلسفة العامة**، ط7، دار النهضة العربية، 1972م، ص 71.

(28) هيراقليطس فيلسوف التغير. فالأشياء في نظره، في تغير دائم؛ لذا اعتبر الثبات موتاً وعدماً. ومقولته في التغير مشهورة: لا يستحم امرؤ في نهر مرتين. انظر، محمد ثابت الفندي: **مع الفيلسوف**، بيروت، دار النهضة العربية، 1980م، ص 97.

بنظرهم إلى استحالة قيام أية حقيقة أو أي علم؛ مما أفضى بهم إلى التوقف عن إعطاء أي حكم، الأمر الذي ساقهم إلى عدم الإكتراث أو عدم المبالاة.

إن مقولات السفسطائيين هذه ليست سوى إدعاءات يمكن دحضها وردُّها، وهذا ما فعله كل من سُقراط وأفلاطون وأرسطو، حيث تصدُّوا للرد على ادعاءات السفسطائيين.

فأفلاطون يصف السفسطائيين في «جمهوريته» بأنهم دجّالون وعديمو الكفاءة ومنتحلو الفلسفة، وأنهم «أفسدوا سمعة الفلسفة بسفسطهم وترهاتهم»[29]؛ كما يخاطب أحد السفسطائيين؛ على لسان سُقراط، فيقول: «لا تقنعنا بأن شيئاً واحداً في وقت واحد، وفي قسم واحد، وبالنسبة إلى موضوع واحد، ينفعل انفعاليين متضادين وينتج مفعولين متباينين»[30]. كما انتقدهم في مبدأ الشك المذهبي أو الشكّ اللامحدود وانتقدهم لجهة المعرفة الحسّية، لأن الحواس تمثل معارف متناقضة، كما انتقدهم باستحالة المعرفة واستحالة البرهان والدليل واعتبرهم مجرد تجار في المعرفة، التي تهدف في نظرهم إلى منفعة عملية، في حين أن الفلسفة في حقيقتها تهدف إلى تحقيق المعرفة دون منفعة أو غرض. وقد برزت انتقادات أفلاطون للسفسطائيين في محاوراته: بروتاغوراس وغورغياس والسفسطائي. فالسفسطائية، في نظر أفلاطون، لا تزوّد الإنسان بأي علم، وبالتالي فالسفسطائي لا يمكن أن يكون هو الطريق إلى أي علم مفيد، يقول أفلاطون: «التعليم السفسطائي... قريب من أن يكون لعباً، لأنه لا يعطي ذلك العلم ولا يؤدي إلى علم ينتفع به: لا في نظر ولا في عمل»[31]؛ ولذا فهو ينصحهم بعدم إضاعة الوقت في مسائل تحصيل الحاصل[32].

وسقراط هاجم السفسطائيين واتهمهم بتمويه الخطأ بالمنطق المزخرف وقوة البلاغة واحتقرهم لتقاضيهم أجوراً مرتفعة من تلاميذهم، واختلف معهم، لقولهم بأن الإنسان معيار الحقيقة، لأن في ذلك هدفاً للعلم، واختلف معهم في مفهوم الأخلاق التي تعني عنده السعادة، في حين تعني عند السفسطائيين سيطرة الإنسان على غيره. وقد تمثلت دفاعات سقراط في وجه السفسطائيين بأسلوب التوليد والتهكم، حيث كان سقراط يستدرج السفسطائي، ليوقعه في التناقض، وفي ما يلي مثال توضيحي على الأسلوب التهكمي التوليدي، الذي انتهجه سُقراط في خلال محاورته للسفسطائيين: سأل سقراط مرة أحد السفسطائيين عن النَفَس الذي يخرج من جوف الإنسان هل هو حارٌ أم باردٌ؟ فحارَ السفسطائي جواباً؛ فقال سقراط: إذا أردت أن تبرِّد الطعام الساخن فماذا تفعل به؟ فأجاب السفسطائي أنفخ فيه؛ فأجابه سقراط: إذن النَفَس بارد، فقال السفسطائي: نعم؛ ثم تابع سقراط، وإذا كنت تشعر بالبرد فماذا تفعل؟ فأجاب السفسطائي: أنفخ في يدي أسخّنهما،

(29) أفلاطون: **جمهورية أفلاطون**، نقلها إلى العربيّة حنا خباز، بيروت، دار القلم، ط1، 1969م، ص 178.
(30) نفسه، ص 134.
(31) عبد الرحمن بدوي: **أفلاطون في الإسلام**، ط2، نصوص حققها أو علق عليها عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار الأندلس، 1980م، ص 12.
(32) **جمهورية أفلاطون**، ص 134.

فقال سقراط: إذن النفس حار، فأجابه السفسطائي: نعم. وبذلك يكون السفسطائي قد اعترف بأن النفس باردٌ وحارٌ في الوقت ذاته فوقع في التناقض.

كذلك أرسطو انتقد السفسطائيين، لقولهم بالنسبية في العلم والأخلاق، وأكَّد بأنَّ الموجودات ليست كلّها محسوسة، كما بيَّن أنَّ الضدَّين قد يجتمعان على موجود واحد في وقت واحد شرط ألا يجتمعا من جهة واحدة. فالماء إذا كان ساخناً في الواقع فهو بارد بالقوة في الوقت عينه.

وكتاب أرسطو **تبكيت السفسطائيين** وضعه للرد عليهم وبيَّن فيه كيفية وقوع الأغاليط والتمويهات وكيفية صدقها أو كذبها. ويعتبر كتاب السفسطة لابن سينا والذي سبق ذكره، تحت اسم كتاب **الشفاء، المنطق**، 7، **السفسطة**، تاخيصاً وافياً لكتاب أرسطو عن السفسطائيين. يقول أرسطو في مستهل كتابه: «إنَّا قائلون على المباكتات السفسطائية التي نرى أنها مباكتات، وإنما هي مضلات... ومن المعروف أن من القياسات ما هو موجود، ومنها ما ليس بموجود، لكن يظن أنه صحيح. وكما أنه قد يكون في سائر الأشياء الاشتباه، وأن يلحق الظن بها من قبل الاشتباه، كذلك يكون في الكلام أيضاً»(33).

ورغم مهاجمة الفلاسفة اليونانيين، الذين ذكرنا، للسفسطائيين، فهم يلتقون معهم في مواضيع كثيرة، كما أشرنا.

فسقراط يلتقي معهم في أن دراسة المعرفة يجب أن تبدأ بدراسة وسائل المعرفة؛ ويلتقي معهم في أن المعارف التي تحققت هي متناقضة ويجب الشكّ فيها؛ ويلتقي معهم في طريقة الجدل؛ وفي ضرورة المنفعة؛ والنزعة الإنسانية.

وأفلاطون، الذي لم يمتدح سفسطائياً عن قصد، يصف بروتاغوراس بأنه فيلسوف شهم، ذكي، هادئ، لا يثور ولا يغضب ولا يحقد ولا يهتم بأن يتكلم كثيراً ولا يحمِّل أقوال مجادليه بأكثر ممَّا تحتمل، ويعترف بأنه آل على نفسه أن يعلِّم تلاميذه البلاغة وفهم أمور الدولة وإدارتها وتنظيم الأسرة والمنزل وتعليم الحذر في الحياتين العامة والخاصة. يقول أفلاطون في محاورة بروتاغوراس، على لسان سقراط: «لقيت أعقل الناس إذا أردت أن تطلق هذا الوصف على بروتاغوراس»(34).

ويسأل أفلاطون، على لسان سُقراط، الذي اصطحب صديقه هيبوقراطس إلى بروتاغوراس؛ ليعلمه، ماذا سيستفيد؟ فأجابه بروتاغوراس: «إذا جاءني فإنه سيتعلَّم هذا الذي جاء لتعلُّمه وهو حسن التدبير في حياته الخاصة والعامة سيتعلَّم كيف يرتب داره خير ترتيب وسيصبح قديراً على القول والعمل في شؤون منصبه»(35)، وعندما انتهى بروتاغوراس من كلامه إلى سقراط وهيبوقراطس، قال سقراط مخاطباً هيبوقراطس: «كم أنا

(33) **ارسطو، منطق ارسطو**، ط1، حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي، الكويت، بيروت، وكالة المطبوعات دار القلم، ج3، 1980م، ص 778.
(34) افلاطون: **محاورة بروتاغوراس**، ص 42.
(35) نفسه، ص 53.

مدين لك بالشكر أنْ جئت بي إلى هنا، ولن أنسى حديث بروتاغوراس إلى أجل طويل... عرفت الآن أكثر ممَّا كنت أعرف»[36].

## أثر النزعة السفسطائية:

رغم أن السفسطائيين كانوا محنة للفلسفة، فإنهم قد خدموا المجتمع اليوناني؛ لأنهم أثاروا في نفوس اليونانيين، وبخاصة الشبان والأحداث منهم، رغبة قوية في طلب العلم.

ولم ينحصر تأثير السفسطائية على الفكر اليوناني فحسب؛ وإنما تخطاه إلى الفكر الإسلامي والفكر الحديث والمعاصر أيضاً. فما هو مدى تأثير السفسطائية على كل من الفكرالفلسفي العربي والإسلامي والفكر الفلسفي الحديث والمعاصر؟

لقد استفاد علماء الكلام المسلمون من السفسطائيين وأساليبهم، على حد رأي ابن رشد، الذي ذهب إلى أن بعض المتكلمين قد اعتمد على المموهات وتخلى عن الضرورات اللازمة وهذا «تبحُّر في رأي السفسطائيين، فلا معنى له»[37].

وذهب بعض الباحثين إلى القول بأن المعتزلة، وبخاصة الجاحظ، تأثَّرت بالسفسطائية، لأن المنهج الجدلي عند المعتزلة شبيه بمنهج السفسطائيين في الجدل؛ أما نحن فنرى أن مفكري المعتزلة قرأوا السفسطائية، لكننا لا نحكم بأنهم تأثروا بالسفسطائيين، وأن منهجهم يشبه منهج السفسطائيين؛ لأن الحكم بالشبه بين المنهجين حكم بعيد عن الصواب. إنه حكم غير يقيني. ذلك أن السفسطائي، كما ذكرنا، اعتمد في منهجه، على المغالطات والتلاعب في الألفاظ، من حيث لا تدل على مفاهيم ثابتة؛ ولم يكن هذا منهج أهل الاعتزال البتة؛ لأنهم ملتزمون بالأصول الإسلامية، والتي هي منافية لكل ما هو مغالطي ومموه.

نعم، لجأ الجاحظ أحياناً في أدبياته إلى نهج قد يكون شبيهاً بالنهج السفسطائي، غير أن معتقد الجاحظ الكلامي جزءٌ من المذهب الاعتزالي العام. والجاحظ وثيق الصلة اعتقادياً بأستاذه النظَّام، الذي كان بعيداً عن التأثر بالسفسطائية.

كذلك، فإنَّ الاتجاه الحسِّي في الفكر الأشعري والاعتزالي لا يعني التأثر بالواقعية الحسيَّة السفسطائية. فالقرآن الكريم أصلاً يركز على الواقعية الحسيَّة والمنفعة العامة.

كما أننا لا يجوز أن ننعت الرواقيين، الذين كانوا ماديين، بأنهم سفسطائيون أو الفلسفات المعاصرة ذات النزعة الحسية، بأنها سفسطائية.

وعموماً، فالإسلاميون لم يعرفوا السفسطائية كما عرفتها الفلسفة الحديثة والمعاصرة. إذ إن المعنى الأساسي، بل والوحيد، الذي عرفته العقلية العربية الإسلامية، هو أن السفسطة استدلال فاسد يؤدي إلى تمويه الحقيقة وإنكار البديهيات.

---

(36) نفسه، ص 64.

(37) عمر فروخ: **تاريخ الفكر العربي، إلى ايان ابن خلدون**، مرجع مذكور، ص 88.

أمّا على صعيد الفلسفة الحديثة، فإن مؤرخيها أشاروا صراحة إلى أن السفسطائيين بشروا بعصر تنويري نهضوي في تاريخ الفكر الفلسفي، وأنهم أوائل من شكّ في المعرفة الإنسانية وقيمتها وإمكانيتها، وأتوا بأفكار جديدة في مجالات الأخلاق والفلسفة والنقد.

فهيغل ارتفع بالسفسطائية، في كتابه، **تاريخ الفلسفة**، وجعلها المرتكز الأساسي في تطور الفلسفة اليونانية؛ وعادت النظرة القديمة إلى السفسطائية، لتسيطر حتى القرن العشرين، حيث برزت نظرة هيغل إلى السفسطائية مجدَّداً تصفها بخاصية التنوير، وتعتبرها تطوراً طبيعياً للفكر اليوناني على الصعيدين الروحي والحضاري؛ وقد جسَّد نظرة هيغل هذه كلٌ من تيودور غوميرتس وابنه هنريش[38].

إلى ذلك، فإن الفلسفة الوجودية «ليست إلاّ ترديداً لأقوال السفسطائية مع إلباسها ثوباً جديداً غاية في البراعة الوجودية»[39].

كذلك البراغماتية العملية أو الغرضية أو الذرائعية أو الأدواتية، والتي يقبل فلاسفتها كل ما يمكن الاستفادة منه في الحياة، ليست شيئاً مغايراً للسفسطائية. يقول الفيلسوف البراغماتي الإنكليزي الشهير شيلر: «علينا أن نعود مرة أخرى إلى قول بروتاغوراس ـ الإنسان مقياس الأشياء جميعاً»[40].

وإذا كان فن النجاح في الحياة قد أخذ منحى فكرياً على يد السفسطة القديمة، فإنه على يد السفسطة الحديثة والمعاصرة قد أخذ، إلى جانب منحاه الفكري، منحى عسكرياً إذ بات من هموم الدول العظمى والقوية والظالمة المستكبرة التحرش والاعتداء على الدول الضعيفة المسالمة والانتصار عليها وإذلال شعوبها المستكينة بأية وسيلة من الوسائل ضاربة عرض الحائط قيم الحق والخير والفضيلة، واضعة نصب أعينها مصالحها الذاتية الأنانية ومصالح حلفائها وأزلامها. وفي ضوء ما ذكرناه نفسر احتلال العراق للكويت، والحرب العراقية الإيرانية، واحتلال إسرائيل لفلسطين، ومواقف إسرائيل المتمادية ضد الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين، وكل الحوادث المماثلة التي تجري في العالم.

وبرأينا، كان للسفسطائيين أثرٌ بالغ في الفكر اليوناني القديم، وما انعكس ذلك من أثر على الفكر العالمي، فهم بالإضافة إلى ما ذكرناه من معطياتهم الجديدة اخترعوا المنطق وعلّموا الناس ممارسته، وكيفية اكتشاف الخطأ من الصواب، وهم الذين طوروا فنَّ الجدل، وأشكال المحاورة، والاستدلال، والمناظرة، وطبقوا التحليل في كل المجالات الفكرية، ورفضوا التقاليد التي لا تؤيدها مبادئ العقل أو عناصر الحس، كما كان لهم دورٌ بارزٌ في تحطيم الدين القديم عند اليونان.

ومن هنا، علينا أن نعي جيِّداً أن الفكر السفسطائي ليس كله تمويهاً ومغالطة ولغواً

---

(38) عبد الرحمن بدوي: **ربيع الفكر اليوناني**، مصر، مكتبة النهضة المصرية، 1958م، ص 166.

(39) يحيى هويدي: **مقدمة في الفلسفة العامة**، مرجع مذكور، ص 163.

(40) توفيق الطويل: **أسس الفلسفة**، ط7، القاهرة، دار النهضة العربية، 1979م، ص 78.

لا طائل تحته؛ وإنما هو على حدّ قول بروتاغوراس «فنّ عريق، ولكن المشتغلين به في الأزمنة القديمة كانوا ـ بسبب بغض الناس له ـ يتخفّون تستراً تحت أسماء مختلفة»[41]. ويؤكد بروتاغوراس أن السفسطائية مذهب فكري قديم تعني «حسن التدبير للفرد في حياته الخاصة والعامة، يتعلم منها كيف يرتب داره خير ترتيب، ويصبح بها قديراً على القول والعمل في مباشرة شؤون منصبه»[42].

وعموماً، فإن السفسطائيين قد نشروا الثقافة في المجتمع، ومهّدوا للمنطق والأخلاق، غير أنهم كانوا عبثيين، وعلى غير قصدٍ منهم، عجلوا في انحلال المجتمع، الذي ضجَّ بهم وبأفكارهم وأعمالهم، فعاقبهم ونفاهم وقسى عليهم، رغم كون معظمهم من ذوي الأخلاق الفاضلة والسلوك القويم.

وختام القول، يصوِّر لنا مؤرخ الفلسفة، وكاتب، **قصة الحضارة**، ولْ ديورانتْ أثر السفسطائيين في المجتمع اليوناني فيقول: «لا نخطىء إذا قلنا أن أثينة كانت تبقى مدينة غير متسامحة إلى حد السخف والغباء ولا مجال فيها للتفكير الحر لو لم تقم فيها طبقة دولية من التجار، ولم يفِد إليها جماعة السفسطائيين»[43].

(41) افلاطون: **محاورة بروتاغوراس**، فقرة 316، ص 51.

(42) المصدر نفسه، فقرة 318، ص 53.

(43) ولْ ديورانت: **قصة الحضارة**، ج7، ص 211.